# عرض وتقديم كتاب
# "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان"
# لابن مريم المليتي المديوني

**الدكتور عبد القادر بوباية**
جامعة وهران

## مقدمة

لقد ساهم المؤرخون بصفة عامة، وكتّاب التراجم منهم بصفة خاصة في تخليد العلماء الذين عاشوا على ثرى بلاد المغرب الإسلامي عامة، وبلاد المغرب الأوسط بصفة أخص، ومن أبرز أولئك الذين ترجموا للعلماء ابن مريم المليتي المديوني الذي خلف لنا كتاباً هاماً سماه "**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**"(1).

سمح لنا هذا المؤلف الهام بمعرفة عدد كبير من العلماء والأولياء الذين عاشوا في تلمسان وأحوازها، وأسهموا في الحركة العلمية والثقافية التي عاشتها هذه المنطقة على عهده، حيث لم يكتف ابن مريم بالترجمة للعلماء والأولياء فقط بل زودنا بمعلومات في غاية الأهمية عن الحركة العلمية بتلمسان

(1) اعتمدنا هذا العنوان خلافاً لما عمل به محمد بن أبي شنب بالنظر إلى أنه العنوان الذي ورد في أقدم النسخ التي اعتمدنا عليها في هذا التحقيق، وهي النسخة 1736 التي تمّ نسخها في عام 1049 هـ/ 1639 م، أي بعد حوالي إحدى وعشرين سنة من وفاة المؤلف التي كانت على الأرجح قبيل سنة 1028 هـ/ 1619 م.

وأحوازها بصفة خاصة، وبلاد المغرب الأوسط بصفة عامة، فضلاً عن المعلومات القيمة المتعلقة بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تميز تلمسان وأحوازها زمن المترجمين.

كما زودنا المؤلف أيضاً بمعلومات غزيرة تتعلق بتاريخ بلاد المغارب، وذلك من خلال الأخبار المرتبطة بالعلاقات السياسية التي كانت بين دوله سلماً وحرباً، والروابط الثقافية التي كانت تجمع بين الأقطار المغاربية على وجه الخصوص، والتي تتجلى خاصة من خلال تنقلات العلماء بين أقطار هذه البلاد فضلاً على المعلومات الغزيرة عن الإنتاج الفكري لعلماء المغارب بصفة أخص حيث بلغ عدد المؤلفات التي ذكرها ابن مريم أكثر من ستمائة مؤلف في مختلف العلوم والمعارف.

## التعريف بالمؤلف

أورد المؤلف اسمه في مقدمة كتابه - وفي ترجمة والده[2]- التي جاء فيها أنه «محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي نسباً، المديوني نِجاراً[3]، التلمساني منشأ ومولداً وداراً»[4].

وقد ترجم العديد من المؤلفين ابن مريم المليتي، ومنهم الحفناوي الذي قال عنه: «الفقيه الصالح المؤرخ المؤلف محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني صاحب

---

(2) هو محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي. انظر ترجمته في حرف الميم من الكتاب.

(3) النُّجار أو النِّجار هو الأصل والنسب. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1426 هـ/ 2005 م، ص. 903.

(4) ابن مريم المديوني محمد بن محمد، **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، نسخة رقم 1736، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1 ظ.

كتاب "**البستان في علماء وصلحاء تلمسان**" الذي انتقاه من "**نيل الابتهاج**" للتنبكتي ومن"**بغية الرواد**" ليحيى بن خلدون وغيرهما»، وذكر أنه لم يقف على ترجمته[5]، ثم أورد فقرة طويلة من كتابه، وتتعلق بذكر مؤلفاته والأبيات الشعرية التي أوردها عند التمهيد لذكرها، كما أورد أسماء العلماء والأولياء الذين ترجمهم ابن مريم[6].

وذكره محمد بن محمد مخلوف في كتابه، وقال عنه: «الفقيه العالم الشيخ الصالح المؤرخ الأديب الكامل، أخذ عن الشيخ سعيد المقري وغيره»[7].

ومن الباحثين المعاصرين محمود بوعياد الذي قال: «ورغم الأبحاث الطويلة في كتب التراجم المشرقية والمغربية لم نحظ بالعثور على ترجمة للمؤلف»[8]، ولم يُعَرِّف به كل الذين نشروا كتابه، وأولهم محمد بن أبي شنب[9]، ثم عبد الرحمن طالب الذي أعاد نشر ما نشره السابق مع إضافة بسيطة في مقدمة الكتاب نقلها عن محمود بوعياد[10]، والمستشرق بروفنزالي الذي نشر الكتاب مُترجَماً إلى اللغة الفرنسية، ولم يقدّم تعريفاً بالمؤلف مُكتفياً في

---

(5) الحفناوي أبو القاسم محمد، **تعريف الخلف برجال السلف**، مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، ط. 2، 1405 هـ/ 1985 م، ج 1، ص. 151-152.

(6) **المصدر نفسه**، ج 1، ص. 152-164.

(7) مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1424 هـ/ 2003 م، ج 1، ص. 428.

(8) محمود بوعياد، «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان وقيمته التوثيقية»، مجلة **الأصالة**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 28، رجب - شعبان، 1395 هـ/ 1975 م، ص. 260.

(9) ابن مريم الشريف المليتي المديوني محمد بن محمد، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1908 م.

(10) ابن مريم الشريف المليتي المديوني محمد بن محمد، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986 م.

مقدمته بالإشارة إلى أن المعلومات الوحيدة المتوفرة عنه هي التي توجد في كتابه[11].

ولكننا وبالاعتماد على الإشارة التي أوردها عادل نويهض عند ترجمته لابن مريم تمكنا من الحصول على ترجمة مفصلة لمؤلف "**البستان**"، وذلك من خلال تلميذه الفقيه العالم عيسى بن محمد بن يحي الراسي البطوئي السعيدي (المتوفى سنة 1040 هـ/ 1630 م) الذي خصه بترجمة وافية في كتابه الموسوم بـ"**مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح**" [12]، وقد اعتمد في ذلك على الترجمة التي أرسلها إليه ابن المؤلف محمد الصغير بعدما طلب منه ذلك، ويؤكد ذلك قوله: «وممّن سلك سبيله فكان في الفضل عديله الولي الصالح الولد، ووالد وما ولد، وإن الشبل في الخبر مثل الأسد ابنه السيد الفقيه العالم النبيه السيد المولى الأثير سيدي محمد ابن مريم الصغير...»، وكتبت له مرة رضي الله عنه أسترشده في مناقب الشيخ والده رضي الله عنه فكتب إليّ ما نصه: «...، وثانياً كتابكم الأعز ورد علينا، وقام عندنا مقام رؤيتكم ورؤية السيد الوالد، وما ذكرته فيه عن شأن

(11) Ibn Maryem ech-cherif El-Medyouni Tilimceni, *El-Boustane ou Jardin des Biographies des saints et savants de Tlemçen,* Traduit et annoté par F. Provenzali, Ed. Ibn Khaldoun, Tlemcen, 2003.

(12) عيسى بن محمد الراسي البطوئي، **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح**، مخطوط رقم 1667، الخزانة الحسنية، الرباط؛ عيسى بن محمد الراسي البطوئي، [قطعة من كتاب] "**مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح**، دراسة وتحقيق حسن الفكيكي، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، يناير 2000 م، ص. 9؛ عادل نويهض، **المرجع نفسه**، ص. 293 هامش 1.

مناقب السيد الوالد؛ فأنا إن شاء الله مشتغل بها، وتصلكم إن شاء الله»[13].

يقول عيسى البطوئي في الباب السابع من كتابه، وعنوانه: "**في المشيخة**" وهو فصول، وفي الفصل السابع منه: «في ذكر شيخنا وبركتنا ووسيلتنا إلى ربّنا، السيد الإمام الحسن النظام، العالم العلم، القدوة العلامة، المُدَرِّس المتفنن المُنصف شيخنا أبي عبد الله محمد بن محمد المكنى بابن مريم الشريف المليتي التلمساني المعروف بالمديوني برّد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، ونفعنا ببركته ومتعنا بمحبته، وذكر وَصْلتنا به، وبعض مناقبه ونسبته وموته»[14].

ثم يقول في وصفه: «قد مَنَّ الله تعالى عليّ بملاقاة الشيخ الإمام الصوفي الهُمام، دُرّة أقرانه وسنوسي زمانه أبي عبد الله المذكور بيانه؛ فمتعت النفس والعين من مشاهدته ومن جميل لقائه، وتزودت منه ما ينفعني الله به دنيا وأخرى من جليل علومه وأحواله وصالح دعائه؛ فما رأت عيناي قط مثله خَلقاً وخُلقاً وإنصافاً وحرصاً على العلم، ورغبة في نشره، واجتهاداً في طلبه، وإدماناً على تلاوة الكتاب العزيز، وتواضعاً وخشية ومودة وصبراً، واحتمالاً وحياء، وصِدق لهجة، وسخاء وإيثاراً، ومواظبة على قيام الليل، وتبحراً في سائر العلوم الشرعية، وحُسن إدراكٍ وقوة فهم، وحُبّاً في الخير لجميع المسلمين»[15].

## شيوخه

(13) **مطلب الفوز والفلاح**، تحقيق حسن الڤگيگي، ص. 125.
(14) **المصدر نفسه**، ص. 121.
(15) **المصدر نفسه**، ص. 122.

أورد عيسى بن محمد الراسي البطوئي أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن مريم معتمداً على ما كتبه المؤلف حيث يقول: «أما نسبته في القراءة والتربية؛ فقد وجدت بخط يده المباركة: يقول كاتب الحروف عبد الله سبحانه محمد بن محمد بن مريم الشريف:

الشيوخ الذين أخذت عنهم القرآن والدي رحمه الله، وجعل الجنة منْزله ومأواه، والشيخ سيدي عبد الرحمن بن تاغريبت، والشيخ سيدي محمد بن فارس، والشيخ سيدي محمد الوجديجي، والشيخ سيدي عبد الرحمن السباني، والشيخ سيدي محمد الدرّار، والشيخ سيدي عثمان بن معرف، والشيخ سيدي زيان، والشيخ سيدي عيسى بن عبد الرحمن الصميمي، والشيخ سيدي محمد العطافي، هؤلاء قرأت عليهم القرآن.

وأخذت العلم عن الشيخ سيدي أحمد أبركان الورنيدي، والشيخ سيدي أحمد حدوش، والشيخ سيدي الهامل الوجديجي، والشيخ سيدي محمد أبو السادات المديوني، وابنه سيدي محمد الصغير، والشيخ سيدي محمد بوزوبع الكناني، والشيخ سيدي سعيد المقري، والشيخ سيدي عيسى بن سلامة المستغانمي»(16).

## سلسلة شيوخه في التصوف

وأخذ هو - أي ابن مريم - التصوف عن الشيخ سيدي علي بن يحي السلكسيني والفقيه الخطيب الجاديري، وأخذ هو عن الشيخ المربي السالك سيدي يوسف العطافي الجادري، وأخذ هو عن الشيخ الربّاني سيدي محمد بن يوسف السنوسي رضي الله عنهم أجمعين، وسنده معروف عند جميع الناس(17).

---

(16) البطوئي، **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، ص. 430-431.

(17) **المصدر نفسه**، ص. 432.

من خلال ما أورده تلميذه عيسى بن محمد الراسي البطوئي عن شيخه، وتتبع التراجم التي أوردها ابن مريم في كتاب "**البستان**" يمكننا معرفة الشيوخ الذين تتلمذ عليهم المؤلف وهم:

**1** - والده محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي، المتوفى صبيحة يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة خمس وثمانين وتسعمائة، الذي كان نقطة انطلاقه نحو طلب العلم، ويؤكد ذلك عندما يترجمه في كتابه حيث يقول عنه: «ومن كراماته أيضاً قلت له: يا والدي كل من قرأ عليك القرآن حفظه؛ فقال لي: وأنت يا ولدي كذلك».

**2** - الشيخ أحمد بن عيسى الورنيدي ثم الزكوطي المعروف بأبركان، من جبل بني ورنيد، ولي صالح يُدرّس العلمين: علم الظاهر وعلم الباطن، ويؤكد ابن مريم تتلمذه عليه بقوله عند ترجمته: «ومما جرى لي معه في ابتداء قراءتي عليه في صغر سني...»، ويؤكد ذلك في ترجمة أخرى فيقول: «وذكر لنا شيخنا أحمد أبركان»، لم يذكر تاريخ وفاته، ولكنه أورد خبراً مفاده أنه غسّله مع تلميذه محمد البطحي، ومعنى ذلك أن وفاته كانت قبل سنة 1014 هـ/ 1605 م تاريخ تأليف الكتاب.

**3** - الشيخ سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمن بن بلعيش المقري فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها وخطيبها بالجامع الأعظم خمساً وأربعين سنة، ويؤكد تتلمذه عليه بقوله عند ذكر شيوخه: «سمعت هذا من فم سيدي سعيد، ومنه سمعت أنه ولد في حدود ثمانية وعشرين وتسعمائة»، وقال إنه كان بقيد الحياة سنة إحدى عشرة وألف.

**4** - الشيخ علي بن يحي السلكسيني: الفقيه الخطيب العالم المحقق الولي الصالح الصوفي، كان إماماً بمسجد أجادير وحريصاً على تدريس العلم، وكانت وفاته في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة 972 هـ/ 1564 م.

**5** - الشيخ أبو السادات محمد بن يحي المديوني المدعو أبا السادات، الفقيه العالم الولي الصالح، كان يدرّس الرسالة وما يناسبها من ابن الحاجب الفرعي، وكانت وفاته بعد الخمسين وتسعمائة، ويؤكد ابن مريم تتلمذه على هذا الشيخ من خلال قوله: «وأنا أدرس العلم بالجامع الأعظم، وأحضر عند سيدي أبي السادات».

**6** - الشيخ محمد بن محمد بن موسى الوجديجي المدعو بالصغير: الفقيه العالم المتفنن العلامة، أحد فحول أكابر العلماء المتأخرين، ينتهي إليه حل المشكلات في الفروع والأصول والبيان والمنطق والعروض وغير ذلك، وتوفي في الوباء عام 981 هـ/ 1573 م، أو لعله الشيخ محمد بن أحمد الوجديجي المتوفى في حدود الخمسين وتسعمائة، والذي يقول عند ترجمته: «شيخنا وبركتنا نفعنا الله به».

**7** - الشيخ محمد بن أحمد بن داود العطافي التلمساني: الفقيه العالم النحوي الخطيب الإمام، ويؤكد ابن مريم تتلمذه عليه حين يقول في ترجمته: «وحدثني شيخي سيدي محمد العطافي».

**8** - الشيخ سيدي محمد بن أحمد الكناني المعروف ببوزوبع، الفقيه النحوي العالم العلامة، العروضي الأصولي المنطقي، المتوفى بعد الثمانين وتسعمائة (1572 م).

**9** - الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المطغري أصلاً، الجادري داراً، المعروف بابن رحمة: الفقيه العالم

المتصوّف الولي الصالح، أخذ عن علي بن يحي السلكسيني ومحمد عاشور وأبي يعقوب يوسف العطافي، وتوفي ضحوة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شوال سنة 1001 هـ/ 1592 م.

**10** - أبو السادات محمد الصغير بن محمد بن يحي بن محمد المديوني، حفيد سيدي يحي الفقيه العالم المدرس الحافظ الحجة، الجامع بين المعقول والمنقول، تخرّج عليه خلق كثير لا يحصون، وتوفي في الوباء.

**11** - الشيخ محمد بن محمد بن الشرقي: الفقيه العالم المدرّس، الإمام المفتي الخطيب، كان يُدرّس بالجامع الأعظم من تلمسان، ومما يدل على تتلمذه عليه قوله عند ترجمته: «وهو شيخنا ومفيدنا، علم الأعلام وحُجّة الإسلام، آخر حفاظ المغرب...، وكانت وفاته سنة أربع وستين وتسعمائة».

## خروج ابن مريم من تلمسان واستقراره بالحناية

ومن المحطات الهامة في حياته انتقاله من سكنى مدينة تلمسان إلى مدينة الحناية، ويعطينا البطوئي دافع هذا الانتقال حيث يقول: «وكان رضي الله عنه يأخذ مقدار زوج الأرض المعدة للحرث في بعض راتبه؛ فانتزعهما منه بعض الفقهاء؛ فغاظه ذلك، فرأى في منامه قائلاً يقول له: أخرج من تلمسان في هذه الساعة لئلا تدخل في مخالطة فقهائها؛ فحين أصبح بقي متحيراً إلى أن يخرج؟»، وعن سبب اختياره سكنى الحناية يضيف مترجمه قائلاً: «فإذا بأهل الحناية أتوه ليصلح بينهم، وقد كان ارتحل إمامهم؛ فرغّبوه أن يؤم بهم بمسجدهم، قال: فخطر

بباله ما رآه في منامه؛ فأجابهم ففرحوا بذلك فرحاً شديداً؛ فبقي بينهم حتى أتاه أجله»[18].

## نشاطه التعليمي

بدأ ابن مريم التعليم على عهد والده حيث خلفه عند مرضه إذ يقول عند ترجمته: «وقال لي يا ولدي اذهب أقرئ الأولاد في المكتب»، ويضيف المؤلف قائلاً: «فذهبت ولم أعصه، وأقرأت الأولاد خمسة أيام أو ستة أيام»، ثم ذكر العلوم التي درّسها فقال: «وعلّمتهم فرائض الوضوء وسننه، وفرائض الصلاة وسننها، وفرائض الغسل وسننه، وفرائض الحج وسننه»، ولعل هذه التجربة الأولى التي خاضها في التعليم هي التي جعلته يتمنى مواصلة ممارسة هذه المهنة، ويؤكد ذلك قوله: «وقلت في نفسي لو كان أبي يتركني أعلّم الصبيان»، ولم يكتف بالتمني فقط بل طلب ذلك من والده، واستجاب الأب له.

كان ذلك إيذاناً باحتراف ابن مريم للتعليم حيث يذكر أنه بمجرد سماع الإذن شرع في ممارسة مهنة التعليم، وتمادى على ذلك؛ قال ابن مريم: «تماديت على ذلك؛ فتخرّج عليّ والحمد لله بدعاء والدي وبركته أزيد من أربعين ولداً، كلهم يحفظون القرآن، وبعضهم علماء يُدرِّسون العلم في كل فن من العلوم الظاهرة والباطنة»[19].

## تلامذته

أورد البطوئي أسماء من تتلمذ على الشيخ ابن مريم، ويدل عددهم الكبير على شدّة إقبال الطلبة عليه من كل حدب وصوب

---

(18) **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، ص. 429.
(19) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ص. 269.

من أجل الاستفادة من علمه، ونقل عنه أسماء تلامذته فقال: «قرأ عليه القرآن علي بن منصور الشرقي، والفقيه محمد شقيقه، والفقيه محمد بن يوسف الشرقي، والفقيه محمد الندرومي، والفقيه محمد بن عبد الله الحداد، والفقيه موسى بن أحمد، والفقيه محمد بن سليمان الحجّار، والفقيه محمد بن عبد الله، والفقيه أخي بلقاسم ابن مريم، والفقيه محمد الساباني، والفقيه محمد البطحي...»[20].

وألحق به ولده سيدي محمد الصغير من جملة ذلك الفقيه الجليل أحمد المقري صاحب الفتوى بفاس[21]، والفقيه سعيد بن أحمد المقري الجواز والفقيه عثمان الراشدي العطافي والفقيه محمد الزنداري والفقيه الجليل محمد السنوسي بن سيدي عبد الرحمن بن موسى الوجديجي والفقيه عمر بن عبد الرزاق.

وممن قرأ عليه العلم أحمد الجراري والفقيه الحاج عمر الحانوتي والفقيه علي بن موسى والفقيه عثمان بن عبد الرحمن المطماطي والفقيه الحاج سليمان الصالح الحجازي والفقيه السيد

---

(20) قال عيسى بن محمد البطوئي: «وكذا المشهود له بالولاية سيدي محمد البطحي، قرأت عليه الألفية والعقائد». **مطلب الفوز والفلاح**، تحقيق حسن الفكّيكي، ص. 152.

(21) هو أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، مؤلف كتابي "**أزهار الرياض في أخبار عياض**" و"**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**" المتوفى سنة 1041 هـ/ 1631 م، انظر ترجمته في المقري التلمساني أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**"، تحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1415 هـ/ 1995 م ، مقدمة التحقيق؛ المقري أحمد بن محمد، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط. 2، 1403 هـ/ 1983 م، مقدمة التحقيق؛ القادري محمد بن الطيب، **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، تحقيق مارية دادي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2009 م، ص. 163-164؛ الصغير الإفراني محمد بن الحاج، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط. 1، 1425 هـ/ 2004 م، ص. 143-146؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص. 42.

حواما بن يوسف الوليزي والفقيه أحمد بن إبراهيم بن مريم والفقيه علي بن محمد الشريف والفقيه موسى الشاوي والفقيه المعلم أحمد الحجام الزواوي والفقيه أخوه إبراهيم بن محمد بن مريم انتهى ما وجد[22].

إن هذه القائمة الطويلة من تلامذة ابن مريم تؤكد ما ذكرناه سابقاً من أن عدد الذين تتلمذوا عليه كان كبيراً، كما أن هذه القائمة أيضاً تثبت المكانة العلمية التي كان يحتلها ابن مريم في تلمسان خاصة والمغرب الأوسط عامة على اعتبار أن أصول الوافدين عليه من مناطق مختلفة منه، أما الملاحظة الثانية فتكمن في أن أغلب الذين تتلمذوا عليه من الفقهاء، وهو ما يؤكد أن ابن مريم من الذين تخصصوا في الفقه وما يرتبط به من العلوم، ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكرناه سابقاً نقلاً عن ابن مريم حينما تولى التدريس نيابة عن أبيه عند مرضه حيث درّس جملة من العلوم المرتبطة بالفقه.

## منهجه في التدريس

يوضح البطوئي في كتابه "**المنهج**" الذي كان يتبعه ابن مريم في تعليم تلاميذه حيث يقول: «وكان رضي الله عنه يقرئ الصبيان في مكتب والده بباب علي أزيد من أربعين عاماً، وكان لا يقهر أحداً من الصبيان بالضرب ولا بالحبس، وهو مشغول بالنظر في الكتب أو النَّسخ والصبيان على عادتهم؛ فإذا دعاهم لعرض ألواحهم حفظوا كلهم ببركته حتى انتفع على يده خلق كثير، وكان لا يشدد على أولياء الصبيان في الأجر بل من أتى بشيء قبله، ومن لم يأت بشيء لم يسأله عن ذلك»[23].

(22) **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، ص. 431-432.
(23) **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، ص. 429.

## أنموذج من إجازاته

وممن درس على ابن مريم مؤلف كتاب "**مطلع الفوز والفلاح**" الذي أورد نص الإجازة التي خصّه بها شيخه بعد انتهاء تتلمذه عليه وهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ليعلم من يقف على مكتوبنا هذا من أهل الدين والفضل والصلاح بأن الشاب الأمجد الأسعد وفقنا الله وإياه لصالح العمل السيد الفقيه سيدي عيسى بن محمد بن يحي البطوئي له ما لنا وعليه ما علينا، هو من أولادنا، ختم لنا الله وإياه بالحسنى وكلمتي الشهادة عند الممات بجاه النبي وآله وصحبه؛ فمن آذاه أو تسبب في إذايته فلا يلومنّ إلا نفسه، وعلى الله المعتمد والتكلان، وكاتب الحروف عبيد الله سبحانه أصغر عبيده محمد بن محمد بن مريم الشريف المليتي كان الله له ولياً ونصيراً، مُسلّماً على من يقف عليه، انتهى»[24].

## مناقبه

أورد البطوئي في كتابه جملة من مناقب الشيخ ابن مريم المليتي المديوني، ومن أبرزها قوله:

«ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان له صاحب بدوي من بني عامر، وكان طمّاراً في مطمر سيدي محمد الأدغم[25]، وكانت له دراهم خمسون ديناراً، فحطّها[26] عند الشيخ، ثم مات

---

(24) **مطلب الفوز والفلاح**، تحقيق الفيگيگي، ص. 123.

(25) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأدغم السويدي، المتوفى في حدود الثمانين وتسعمائة، وهو من العلماء الذين ترجمهم ابن مريم، انظر ترجمته في حرف الميم من "**البستان**".

(26) كلمة دارجة تعني وضعها أو تركها.

بعد نحو عامين وترك زوجتين وأولاداً؛ فأخذ الشيخ الدراهم فقسّمها بينهم على فرائض الله، فأتى جبّاري من الجبابرة لإحدى الزوجتين فأخذ منها مالها وسأل عن الأخرى، فقيل له: إنها بتلمسان مجاورة للشيخ رضي الله عنه؛ فأتاها الجبّاري فسأل منها الدراهم، فقالت له: ما ترك سوى ما قسّم علينا سيدي محمد بن مريم؛ فقال لها: بل ترك عنده خمسمائة دينار؛ فأتى بها للشيخ وقال له: اعطني دراهم صاحبي التي ترك عندك؛ فقال له الشيخ: لم يترك عندي سوى الخمسين التي قسّمتها بين الزوجتين والأولاد، فقال العربي: بل خمسمائة؛ فمشى معه لقاضي البلد ومفتيها فلم يجد إليه سبيلاً؛ فقال الشيخ له: الحاصل ما لك عندي كلام، ولو ترك عندي ألف دينار ما نعطيك منها شيئاً؛ فبأي وجه ترث أنت؟ فقال الجبّاري: هو وأولاده وماله ملكي؛ فقال له الشيخ: كذبت يا عدو الله، والله ما يملك الرقاب إلا الذي خلقها؛ فكثر النّزاع بينهما، فشكاه الجبّاري لقائد البلد، فقال له القائد: لو كان غير سيدي محمد نأخذها منه قهراً، وأما هو فلا تتجاسر عليه؛ فحلف الجبّاري للشيخ بطلاق زوجته إن لم يعطني دراهم حتى نقطع الطريق على أولادك ونأخذ خيلك وبقرك؛ فقال له الشيخ: اصنع ما بدا لك، والله ما نعطيك إلا مزراقاً على قلبك، والله ما تربح يا عدو الله؛ فركب الجبّاري فرسه وخرج غضباناً، وكان من شجعان العرب، فتلقاه في أثناء الطريق بعض أعدائه وكانوا شبّاناً صغاراً، فلم يقدر أن يتحرك من مكانه ببركة دعوة الشيخ حتى ضربه أحدهم برمح بين كتفيه حتى خرجت على قلبه كما قال الشيخ رضي الله عنه؛ فلما أصبح أتت زوجة البدوي المذكور وقالت: يا سيدي محمد ما عندك خبر؟ قال لها: بم؟، قالت: الجبّاري قد مات؛ فوقع في الأرض مغشيّاً عليه ساعة، فلما

أفاق قال: الحمد لله، استغفر الله ثلاثاً رضي الله عنه ونفعنا به آمين»[27].

ومنها ما حدثني [به] صاحبه سيدي محمد بن صفية العامري رضي الله عنه، وكان من تلامذة الشيخ رضي الله عنه قال: «كانت لي زوجة سيئة الخلق وهي حامل فشق عليّ طلاقها لأجل الحمل؛ فشاورت سيدي العبدلي في طلاقها فقال لي: طلقها تسترح، ثم شاورت سيدي سعيد فقال لي مثل ذلك؛ فحين ذكرت له الحمل توقف؛ فشاورت سيدي محمد فقال لي: يا أخي الصبر خير لك، ومولانا يُخلصك منها إن شاء الله؛ فاطمأن قلبي لكلامه؛ فلما وضعت حملها إذا به ميت، فحمدت الله، ففارقتها وقصدته بالزيارة، فحين رآني قال: هنّاك[28] الله، الحمد لله رب العالمين»[29].

قال البطوئي أيضاً: «ومن حسن سيرته رضي الله عنه، وكمال اتباعه لسنة رسول الله ﷺ، وجميل تواضعه مع وفور علمه أنه كان يُحب الفقراء والمساكين، ويأتي إليهم، ويرحم الصغير ويوقر الكبير، ويشفق على الأيتام والأرامل وذوي الحاجة، ويُلاعب الصبيان، ويُحدّث الجليل والحقير، ويُعظّم أهل العلم والدين، وحملة القرآن أشد تعظيماً، ويتأدّب معهم ويُعظّمهم عند العامة، وينزلهم أعلى منه منزلة، ويتبرّك بذكرهم، ولا يغتاب أحداً من الناس، ولا يتكلم فيه إلا بالشرع والنصيحة، ولا يتكلم فيما لا يعني أصلاً.

---

(27) **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، ص. 426-427.

(28) كلمة عامية بمعنى أراحك.

(29) **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، ص. 428.

ومن تواضعه رضي الله عنه أنه كان يخدم ضيفه بنفسه، ويؤاكله ويصارحه، ويساعد رفيقه، ولا يغضب لنفسه بل لله، وكان يخدم نفسه بنفسه، يكنس الزبل عن دوابهم، ويعطيهم العلف، ويخيط لهم ما يحتاج للخياطة، ويشتري ما يخصه من السوق بنفسه، ولا يوكل في ذلك أحداً مخافة البيوع الفاسدة واحتياطاً على الربا»[30].

(30) **المصدر نفسه،** ص. 428-429.

## وفاته

لم يذكر الذين ترجموا ابن مريم تاريخاً محدداً لوفاته حتى اكتفى بعضهم بذكر التاريخ الذي كان فيه على قيد الحياة بالاعتماد على تاريخ وفاة أحد الذين ترجمهم المؤلف في كتابه، ومنهم الحفناوي الذي قال: «ومن تاريخ تأليف "**البستان**" يُعلم أنه كان حيّاً سنة 1014 هـ »[31]، ومخلوف الذي قال: «ألف "**البستان في علماء تلمسان**" وفرغ منه سنة 1014 هـ»[32]، وذكر البعض الآخر تاريخاً معيناً دون تقديم المصدر المعتمد عليه في توجههم ذلك، ومنهم الحاج محمد بن رمضان شاوش الذي قال: «وكانت وفاته عام 1020 هـ/ 1612 م»[33]، وعادل نويهض الذي قال إنه: «كان بقيد الحياة سنة 1025 هـ/ 1611 م»[34]، وذهب بروفنزالي مترجم كتاب "**البستان**" إلى القول بأن وفاته كانت سنوات قليلة بعد سنة 1011 هـ/ 1602 م تاريخ تأليفه[35].

ونميل من جهتنا إلى ما أورده محقق كتاب "**مطلب الفوز والفلاح**" الذي يقول: «غير أنه تبين أن عمره امتد ما بعد 1025 هـ»، ويتقف هذا مع ما استنتجه من كتابات البطوئي؛ فالواضح منها أن الفقيه السعيدي المجاز من طرف ابن مريم بادر إلى مغادرة تلمسان في اتجاه منزله بتيزي عدنيت بني سعيد، ثم شدّ الرحال مرة أخرى إلى تلمسان، وتحديداً إلى مدشر الحناية بمجرد ما بلغه خبر وفاة شيخه المليتي حيث استخبر هناك أن الشيخ تفقده حينما

---

(31) الحفناوي، **تعريف الخلف**، ج 1، ص. 151-152.

(32) **شجرة النور الزكية**، ج 1، ص. 428.

(33) الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م، ص. 521.

(34) ابن مريم المديوني، **البستان...**، ص. 2، وص. 287؛ **معجم أعلام الجزائر**، ص. 292.

(35) *El-Boustane*, p. 5-6.

دنا منه أجله، وتمنى حضوره إذ قال لابنه محمد الصغير: «لو كان هنا أحمد بن ونيس وعيسى البطوئي ما غسلني غيرهما»[36]، وما نفهمه من تذكر الشيخ لتلميذه قبيل وفاته أن زمن افتراقهما لم يكن بعيداً جداً من حادث الوفاة، وما هو مؤكد لدينا من جهة أخرى أن عيسى البطوئي كان بعد الحصول على إجازته، ومغادرته لتلمسان بسكناه من بني سعيد، وبتصريح منه سنة 1028 هـ/ 1618 م مُنْتَظِراً وصول مناقب شيخه ابن مريم التي وعده بإرسالها ابنه محمد الصغير تمهيداً لفكرة جمع المعلومات عمن لقيهم من ذوي الفضل والصلاح.

من خلال البحث عن تاريخ الإجازة التي منحها ابن مريم لتلميذه عيسى البطوئي توصل الباحث حسن الفكيكي إلى اقتراح تحديد وفاة مؤلف **"البستان"** في الفترة الممتدة بين سنتي 1025 و1028 هـ[37]، وهو في نظرنا الاقتراح الأقرب إلى الحقيقة في انتظار اكتشاف مؤلفات أخرى تميط اللثام نهائياً عن تاريخ وفاة ابن مريم.

## مؤلفاته

إن اشتغال ابن مريم بالتعليم، وإقبال عدد كبير من الطلبة عليه لم يمنعه من الكتابة، ويؤكد ذلك تلميذه عيسى بن أحمد البطوئي عند إيراد أسماء بعض الكتب التي ألفها شيخه حيث قال: «وكان رضي الله عنه كثير البحث في العلم، حريصاً على اكتسابه، لا تكاد تسأله عن مسألة إلا وتجدها عنده مقروءة

---

(36) **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، (الفصل السابع من الباب السابع)، ص. 832، **المصدر نفسه**، ص. 123.

(37) **مطلب الفوز والفلاح**، تحقيق الفكيكي، ص. 49-50.

محفوظة، وكان له المشاركة في كل علم، وخصوصاً علم التصوف

ولقد ألف كتباً عديدة نحواً من ثلاثة عشر تأليفاً: شرحاً على الرسالة، وعلى مقدمة ابن رشد، وعلى الرقعي وعلى القرطبي، وعلى الحكم لابن عطاء الله، وغير ذلك إذ لم نطلع [على] جميعها[38]، وألف كتاباً في مناقب الصالحين سماه "**البستان في مناقب أولياء تلمسان**"، وجعله على حروف الهجاء.

وكان كثير المطالعة للكتب، ولقد سمعت منه رضي الله عنه قال: ما أردت كتاباً إلا ومكنني الله منه دون تعب، ولقد حدّث عنه ولده المذكور أنه ترك نحواً من ستمائة كتاب ببركة اعتنائه بالعلم رضي الله عنه، ونفعنا بمحبته وخالص ودّه آمين»[39].

وقد ذكر المؤلف في خاتمة كتاب "**البستان**" عدة المؤلفات التي ألفها - معظمها في حكم المفقود - نزولاً عند رغبة ولده حيث قال: «وقد سألني ولدي عما وقع لي من التأليف ليكتب ذلك فأمليت عليه ما صادفه زمانه... ولنسردها هنا تكملة للغرض فمنها:

- "**غنية المريد لشرح مسائل أبي الوليد**".
- "**تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأذكار المستحبة في الليل والنهار**".

---

(38) زيادة منا حتى يستقيم المعنى.

(39) **مطلب الفوز والفلاح**، المخطوط، ص. 430.

- **"فتح الجليل في أدوية العليل"** لعبد الرحمن السنوسي المعروف بالرقعي.

- **"فتح العلام الشرح النصح التام للخاص والعام"** لسيدي ابراهيم التازي.

- **"كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد"**.

- **"التعليقة السنية على الأرجوزة القرطبية"**.

- **"شرح على مختصر الصغرى"** اختصرها سيدي سليمان بن أبي سماحة للنساء والعوام.

- **"تأليف حديث نبوي وحكايات الصالحين"**.

- **"تعليق مختصر على الرسالة في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها"**.

- **"شرح المرادية للتازي"**.

- **"تفسير بعض ألفاظ الحكم"** لم يكمل.

- **"تفسير الحسام في ترتيب وظيفة التازي وما يحصل من الأجر لقارئها"**.

- ومنها هذا التأليف المشتمل على عدد أولياء تلمسان وفقهائها في حوزها وعمالتها، الأحياء منهم والأموات»[40].

نقل الحفناوي الفقرة السابقة بكاملها في كتابه[41]، أما غيره فقد ذكر أن عِدّة مؤلفاته: «أحد عشر تأليفاً منها **"غنية المريد شرح لمسائل أبي الوليد"**، و**"تحفة الأبرار في الوظائف**

---

(40) **البستان...**، ص. 314-315.

(41) **تعريف الخلف**، ج 1، ص. 155.

والأذكار"، و"**كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة التوحيد**"، و"**شرح المرادية للتازي**"»[42]، والكتاب الذي وصلنا منه إلى الآن هو الذي نحن بصدد تحقيقه.

## كتاب "البستان"

يعتبر كتاب "**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**" أبرز مؤلفات ابن مريم، ونظراً لأهميته فقد نشره محمد بن أبي شنب سنة 1908 م، ثم أعاد نشره طالب عبد الرحمن سنة 1986 م، بإضافة مقدمة استعرض فيها ترجمة موجزة للمؤلف والناشر الأول للكتاب، ودراسة لموضوع الكرامة، كما قام المستشرق الفرنسي بروفنزالي بترجمته إلى اللغة الفرنسية ونشره سنة 1910 م، وقام بتحقيق الأعلام البشرية والجغرافية، وجاءت التعاليق مليئة بالمعلومات القيمة.

## عنوان وتاريخ تأليف الكتاب

ذكر ابن مريم عنوان الكتاب في مقدمة تأليفه حيث قال: «وسمّيته بـ"**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**" في النسختين أ وب، بينما سماه في النسختين ج ود "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**"»، وهو العنوان الذي اختاره ابن أبي شنب عند نشره للكتاب سنة 1908 م، أما نحن فقد اخترنا العنوان الأول بسبب وروده في أقدم النسخ، وهي النسخة أ التي كتبت سنة 1049 هـ/ 1639 م، والتي تتميز بقلة الأخطاء الواردة فيها.

أما تاريخ تأليف كتاب "**البستان**" فقد ذكره ابن مريم في خاتمة كتابه حين قال: «وها هنا انتهى الغرض فيما قصدناه على

---

(42) مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج 1، ص. 428.

الوجه الذي بيّناه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفي سنة إحدى عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه»[43]، ولكن المُتصفّح المُتمعن لمحتويات الكتاب يلاحظ أن هناك تاريخاً آخر لتأليف الكتاب، وهو التاريخ الذي ذكره من ترجم لابن مريم، ومنهم محقق "**مطلب الفوز والفلاح**" الذي يقول: «وما هو ثابت لدينا من خلال تتبع تراجم علماء تلمسان أن ابن مريم كان حيّاً سنة 1014 هـ[44]، السنة التي ختم فيها مؤلفه "**البستان**"»[45].

ومخلوف الذي يقول: «إنه ألف "**البستان في علماء تلمسان**"، فرغ منه سنة 1014 هـ، وذكر فيه مشايخه والتآليف التي ألفها»[46]، والحفناوي الذي يقول: «ومن تاريخ فراغه من تأليف "**البستان**" يُعلم أنه كان حيّاً سنة 1014 هـ»[47].

وقد استند مترجمو ابن مريم لتحديد تاريخ تأليف الكتاب إلى التأريخ الذي ذكره المؤلف حين ترجم أحد شيوخه، وهو محمد بن عاشور بن علي بن يحي السلكسيني الجادري التلمساني الذي ذكر أنه توفي سنة أربعة عشر وألف[48].

## دوافع التأليف

حدّد المؤلف دوافع تأليفه لكتاب "**البستان**" في مقدمة الكتاب حيث قال ردّاً على من طلب ذلك: «فقد طالعت ما أشرتم به عليّ من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات، وجمع من كان بها وحوزها

---

(43) ابن مريم، **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ص. 314.

(44) تقابل سنة 1605 م.

(45) **مطلب الفوز والفلاح**، تحقيق الفگيگي، ص. 49.

(46) مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج 1، ص. 428.

(47) **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 1، ص. 151-152.

(48) انظر ترجمته في حرف الميم من كتاب "**البستان**".

وعمالتها؛ فأسعفتكم بما طلبتم»[49]، ويفهم من هذا الكلام أن ابن مريم قد استجاب لطلب أحد الذين كانوا يريدون تراجم تخص علماء وأولياء تلمسان، وأسعفه بذلك من خلال الترجمة لهذا العدد الوافر من هؤلاء الأعلام الذي ولدوا أو عاشوا في تلمسان وأحوازها، وساهموا في تنشيط الحركة العلمية والثقافية بها.

ومن الدوافع الأخرى التي جعلته يؤلف كتابه، والتي يذكرها في مقدمة كتابه:

ـ التقرّب إلى الله تعالى إذ ثبت أن المرء مع من أحب؛ فكيف بمن زاد عن مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه وخدمتهم[50].

ـ إفادة الطلاب بذكر جملة وافرة من الكتب، والتعريف بمؤلفيها، وحصر المسائل المتشعبة في سطور.

## محتويات الكتاب ومنهجه في تأليفه

يعتبر كتاب "**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**" المؤلف الوحيد المطبوع من مؤلفات ابن مريم، وقد ترجم فيه لاثنين وثمانين ومائة عالم وولي ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها[51] حسب ما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه، ولكن المتتبع لتراجم العلماء والأولياء الواردة في الكتاب يلاحظ وجود أربعة عشر ترجمة لعلماء وأولياء لا يتوفر فيهم شرط المؤلف، أي أنهم لم يولدوا في تلمسان ولم يزوروها، ولم يعيشوا فيها.

وفي المقابل فإن هناك العديد من العلماء والأولياء ذوي الأصول التلمسانية أو من الذين عاشوا فيها أو زاروها لم يرد لهم

---

(49) ابن مريم، **البستان...**، ص. 5.

(50) **المصدر نفسه**، ص. 6.

(51) **المصدر نفسه**، ص. 3.

ذكر في كتاب "**البستان**"، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أحمد بن نصر الداودي المتوفى سنة 402 هـ/ 1011 م، وأبو زكرياء يحي بن يوغان الصنهاجي المتوفى سنة 537 هـ/ 1142 م، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي اللقنتي المتوفى بتلمسان سنة 610 هـ/ 1214 م، وأبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري ويقال البطوي المتوفى بتلمسان سنة 625 هـ/ 1228 م، وأبو زكرياء يحي بن موسى المازوني المغيلي مؤلف "**الدرر المكنونة**" المتوفى بتلمسان سنة 883 هـ/ 1478 م، والشيخ محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني الذي كان بقيد الحياة سنة 897 هـ/ 1492 م، مؤلف كتاب "**المواهب القدسية في المناقب السنوسية**" الذي اعتمد ابن مريم عليه كثيراً ولم يترجمه، وغيرهم[52].

لم نجد تفسيراً مقنعاً لما أقدم عليه ابن مريم، وحتى المبررات التي يقدمها لتبرير ترجمته لمن لا يمت بصلة إلى تلمسان غير منطقية، من ذلك مثلاً أنه يبرر إدراج ترجمة خليل بن إسحاق بعدم وجود عالم تلمساني يبدأ اسمه بحرف الخاء مع أن المؤلف قد ترجم علماء تبدأ أسماؤهم بهذا الحرف ومنهم ابن خميس أبو عبد الله شاعر المائة الخامسة المتوفى سنة 708 هـ/ 1309 م[53]، كما أن يحي بن يحي خلدون قد ترجم لعديد من العلماء الذين يبدأ اسمهم بهذا الحرف، ومنهم أبو عبد الله الخضار، وهو محمد بن عبد الله الكتامي المتوفى سنة 667 هـ/ 1268 م، وأخوه

---

(52) قارن مع ما ورد عند ابن خلدون أبو زكرياء يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400 هـ/ 1980 م، ج 1، ص. 100-132؛ **باقة السوسان**، ص. 417-445.

(53) **بغية الرواد**، ج 1، ص. 109.

أبو الحسن الخضار[54]، وغيرهم، وبرر إدراج ترجمة زروق البرنسي بالتبرّك رغم تأكيده في مقدمة تأليفه على شرط انتماء العلماء والأولياء المترجمين إلى تلمسان وأحوازها.

أكثر ابن مريم من النقل عن الكتب التي رجع إليها لتأليف كتابه، ولم يفصل بين النصوص المنقولة وما أضافه إلى درجة أنه يصعب على القارئ أن يميز بين النصوص المقتبسة من الكُتَّاب الآخرين وما يضيفه هو إلى ما ينقله عن المصادر المذكورة سابقاً، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أنه قال عند ترجمته لخليل بن إسحاق: «وحدثني الإمام العلامة المحقق الفاضل قاضي القضاة بمصر والإسكندرية ناصر الدين التنسي أنه اجتمع به حين أخذت الإسكندرية في عشرة السبعين وتسعمائة»، والذي يقرأ هذا الكلام يعتقد أن المؤلف هو الذي سمع الحديث، والصحيح أن الذي يتكلم هنا هو أحمد بابا التنبكتي، ومثل هذا الغموض حول القائل تتكرر كثيراً في الكتاب، وقد أشرنا إليها في هوامش التحقيق.

رتّب المؤلف تراجم العلماء على حروف الهجاء مبتدئاً باسم أحمد[55]، ويختلف حجم الترجمة تبعاً لحجم العلم المترجم؛ فمنها القصير جداً مثل ترجمة محمد بن سليمان التي قال فيها: «سيدي محمد بن سليمان النجار من مديونة الولي الصالح»[56]، وآخر قال عنه «أبو العباس أحمد المسيلي، هو من أكابر علماء تلمسان»[57]، أو ترجمة «أحمد القيسي، هو من أكابر علماء

(54) **المصدر نفسه**، ج 1، ص. 105.
(55) **البستان...**، طبعة 1986 م، ص. 8-307.
(56) **المصدر نفسه**، ص. 292.
(57) **المصدر نفسه**، ص. 31.

تلمسان»[58] وغيرها، بينما توسع كثيراً في تراجم أخرى حيث خصص لها عدة صفحات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ترجمة أحمد بن محمد بن محمد المناوي الورنيدي من الصفحة 8 إلى الصفحة 24، وترجمة أحمد بن الحسن الغماري من الصفحة 31 إلى الصفحة 38، وترجمة الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي الشهير بأبركان الذي امتدت ترجمته من الصفحة 74 إلى الصفحة 93، وترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني من الصفحة 164 إلى الصفحة 184.

وقد سمحت هذه التراجم الموسعة للمؤلف بأن يذكر نسب المترجم وأصله، وتاريخ ولادته ووفاته، وأسماء شيوخه وتلامذته، وعناوين مؤلفاته، وفي بعض الأحيان الكتب التي درّسها لمن تتلمذ عليه، والمدن التي رحل إليها، وأسماء العلماء الذين أجازوه فيها، كما أورد لبعضهم قصائد شعرية ومقتطفات نثرية فضلاً على ذكر بعض الإجازات التي منحها الشيوخ لتلامذتهم، ولكنه لا يفرق بين هذه العناصر، مما يُصعب الأمر على القارئ.

ومما يعاب على المؤلف استعماله في كثير من الأحيان اللغة العامية في كتابه، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في ترجمة محمد الأدغم السويدي حيث قال ابن مريم: «وقالوا هذا الراجل ليس هو ساكن عندنا، هذا هو سارق فعرفوه... ننظر آش يعمل لي، أخذ ضربة برصاصة»، ومن ذلك أيضاً ما ورد في ترجمة والده محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي حيث قال: «فقلت له: يا والدي يرحم لالّة مريم ترضى عنّي، وتحلل لي ما

---

(58) **المصدر نفسه**، ص. 31.

خدمت عليّ وما أقرأتني؛ فنظر إليّ أخي أحمد رحمه الله وقال لي: لاش قلت هذا قلت لأخي: واش على هذا ما يضرش».

## مصادر الكتاب

يذكر المؤلف في خاتمة كتابه المصادر التي اعتمدها في تأليفه حيث يقول: «وقد انتخبته من "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" للشيخ أحمد بابا السوداني، ومن "**بغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد**"، ومن "**تقييد سيدي محمد السنوسي في مناقب الأربعة**"، ومن "**روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين**"، ومن "**النجم الثاقب**"، ومن "**الكواكب الوقادة فيمن كان نسبته من العلماء والصالحين القادة**"، ومن كتب عديدة».

من خلال ما ذكره المؤلف، وما استخلصناه من التراجم التي ضمّنها ابن مريم كتابه يمكن حصر أبرز مصادره فيما يلي:

**1** - "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**": لمؤلفه الشيخ أبي العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي المتوفى على الأرجح يوم الخميس السادس من شعبان سنة 1036 هـ/ 1627 م.

يتضمن الكتاب تراجم لاثنين وثمانمائة من أعلام المذهب المالكي في المغرب الإسلامي [59]، وبذلك فالكتاب يعتبر بشهادة من كتب عنه سجلاً للأعلام من المغاربة إلى أواخر القرن العاشر الهجري، وقد اقتبس ابن مريم عنه في سبع مناسبات نظرياً.

**2** - "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**": لمؤلفه ابن خلدون أبو زكرياء، وهو يحي بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي المتوفى سنة 780 هـ/ 1378 م.

---

(59) **المصادر العربية**، ج 2، ص. 101-102.

والكتاب يؤرخ لدولة بني عبد الواد ملوك المغرب الأوسط، ويمهد لذلك بمعلومات تهم تاريخ المغربين الأوسط والأقصى، ومن ذلك تراجم الأعلام من تلمسان، والنازلين بها من المغاربة والأندلسين، وأنساب البربر، ودول المغرب الأوسط قبل عبد الواد.

**3 - "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب":**
لابن صعد التلمساني، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن ميمون بن سعيد بن صعد الأنصاري التلمساني، الإمام العلامة البارع المصنف التاريخي، من أكابر علماء تلمسان وفقهائها[60]، المتوفى بالقاهرة متوجهاً إلى الحج في رجب من عام 901 هـ/ 1496 م[61].

يتألف الكتاب من ثمانية أجزاء، ولا يزال في معظمه مخطوطاً إلى حد الساعة[62] إذا استثنينا الجزء الأول.

حدد المؤلف منهجه فقال: «وجعلت على حروف المعجم ترتيب أسمائهم بذكر ما أمكن من وفياتهم وأنبائهم»[63]، وقد اتبع فيه مؤلفه خطة تتمثل في التعريف بأصحاب الترجمة، وذكر

---

(60) أبو جعفر البلوي أحمد بن علي، **ثبت أبي جعفر البلوي**، دراسة وتحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 1، 1403 هـ/ 1983 م، ص. 414؛ ابن مريم، **البستان...**، ص. 251.

(61) **ثبت أبي جعفر البلوي**، ص. 417؛ **البستان...**، ص. 251-252؛ ابن القاضي المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد، **درّة الحجال في غرّة أسماء الرجال**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1423 هـ/ 2002 م، ص. 205؛ مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ص. 387.

(62) انظر **ثبت أبثي جعفر البلوي**، ص. 416؛ محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1404 هـ/ 1983 م، ج 1، ص. 121؛ عبيد بوداود، «قراءة في مخطوط "**النجم الثاقب فيما لأولياء عبد الله من مفاخر المناقب**"»، مجلة **عصور**، مختبر مصادر وتراجم، جامعة وهران، عدد 4-5، السنة الثالثة، 12/ 2003 م، جوان 2004 م/ 1424-1425 هـ، صص. 35-44.

(63) **النجم الثاقب**، ص. 73.

أسباب سلوكهم الطريق الصوفي في سياق قصصي، كما يذكر كراماتهم ومرائيهم، ويختم الترجمة عادة بذكر بعض من حكم المترجمين نظماً أو نثراً، كما يورد مقتطفات من مؤلفاتهم ورسائلهم، ويحرص على ذكر وفياتهم[64].

4 - "**روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين**" لابن صعد التلمساني: يعتبر اختصاراً لكتاب "**النجم الثاقب**"، وترجم فيه أربعة من الشيوخ الذين عاصرهم، وهم محمد بن عمر الهواري والحسن أبركان وإبراهيم التازي وأحمد الغماري، وقد اعتمد ابن مريم على مؤلفي ابن صعد من أجل ترجمة كثير من العلماء والأولياء الذين ورد ذكرهم في كتابه.

5 - "**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**": لمؤلفه أبو زكرياء يحي بن موسى بن يحي المغيلي المازوني المتوفى سنة 883 هـ/ 1478 م.

حمع المازوني في كتابه فتاواه باعتباره أحد القضاة، إضافة إلى فتاوى كثير من فقهاء المغرب الإسلامي، ومنهم عدد معتبر من فقهاء المغرب الأوسط، ومن أبرز هؤلاء الفقهاء محمد بن مرزوق وسعيد العقباني وأبي القاسم العبدوسي وإبراهيم القسطنطيني وغيرهم، ويستعرض حول القضية الواحدة آراء عدة فقهاء، ويبدي وجهة نظره من المسائل المطروحة عليه[65].

---

(64) عبيد بوداود، «قراءة في مخطوط "**النجم الثاقب فيما لأولياء عبد الله من مفاخر المناقب**"»، مجلة **عصور**، **مصدر سابق**، ص. 40.

(65) أبو زكرياء يحي بن موسى المغيلي المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009 م، ج 1، ص. 22؛ عبيد بوداود، «مصنفات النوازل الفقهية وكتابة تاريخ المغرب الوسيط»، مجلة **المواقف**، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، العدد الأول، ديسمبر 2007 م، ص. 131.

6 - "**ثبت**[66] **البلوي الوادي آشي**": وهو أحمد بن علي بن أحمد البلوي الغرناطي - نزيل تلمسان - المتوفى عام 938 هـ/ 1532 م[67]، ويتضمن الكتاب - الذي انتهى مؤلفه من كتابته سنة 896 هـ/ 1491 م أي قبل سنة واحدة من سقوط غرناطة - عدداً كبيراً من التراجم والشيوخ والأسانيد والكتب العلمية والأشعار والأحاديث والأدعية وما إليها مما تضمنه الكتاب، وتكمن أهميته في كونه من آخر الكتب التي وصلتنا عن الفترة الأخيرة من تاريخ الإسلام بالأندلس حيث حرّرت بعض فصوله في العقد الأخير من القرن التاسع الهجري[68].

7 - "**الإحاطة في أخبار غرناطة**": لابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي المتوفى بفاس عام 776 هـ/ 1374 م.

يعتبر كتاب "**الإحاطة**" أشهر وأضخم مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب التي تنيف على الستين، وبعد المقدمة انتقل إلى ذكر السبب الذي دعاه إلى تأليفه، وهو أن بعض المصنفين أفراد لوطنه تاريخاً مثلما ما فعل محمد بن أحمد الفخار صاحب "**تاريخ البخاري**"، والخطيب البغدادي مؤلف كتاب "**تاريخ بغداد**"، وابن عساكر صاحب "**تاريخ دمشق**"، ولذلك أقدم على كتابة تاريخ لبلده غرناطة[69].

---

(66) الثبت في اللغة يعني الحجة والبيئة والبرهان، وفي الاصطلاح الكتاب الذي يترجم فيه مؤلفه لحياة أساتذته العلمية ذاكراً أسانيدهم ومروياتهم عنهم وإجازتهم له وما إلى ذلك. **ثبت أبي جعفر البلوي**، ص. 61-62.

(67) أبو جعفر البلوي، **ثبت أبي جعفر البلوي**، ص. 20 وما بعدها؛ **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج 1، ص. 122.

(68) **المصدر نفسه**، ص. 69.

(69) لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1424 هـ/ 2003 م، ج 1، ص. 3-4.

**8 - "المواهب القدسية في المناقب السنوسية"**: لمؤلفه الشيخ محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني (كان حياً سنة 897 هـ/ 1492 م)، وقد ترجم فيه شيخه الإمام محمد بن يوسف السنوسي، وتكلم فيه على جميع نواحي حياته العلمية والأخلاقية، وغير ذلك مما لا يوجد في غيره من الكتب.

يعتبر هذا المؤلف مصدراً هاماً في التعريف بالشيخ محمد بن يوسف السنوسي - أحد أبرز علماء المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري - حيث يذكر نسبه وشيوخه ومؤلفاته، وكل ما تعلق بحياته فضلاً على أنه يؤرخ للحركة العلمية والفكرية في تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامة على عهد محمد بن يوسف السنوسي أي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، وقد اعتمد عليه ابن مريم لترجمة السنوسي والشيوخ الذين تتلمذ عليهم.

**9 - "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"**: لمؤلفه أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفى سنة 914 هـ/ 1508 م.

تكمن أهمية هذه الموسوعة الفقهية في أن صاحبها جاء متأخراً، وعمل على جمع فتاوى الفقهاء الذين سبقوه أو المعاصرين له، وفي مختلف القضايا، وشملت اهتماماته كل الغرب الإسلامي أي المغرب والأندلس، فجاءت تلك الموسوعة كاملة متكاملة، وحقلاً خصباً لدراسة مجتمع الغرب الإسلامي من مختلف وجوهه.

يعتبر كتاب "**المعيار المعرب**" مصدراً أساسياً لا مندوحة للباحثين من الرجوع إليه لكتابة تاريخ المغرب الإسلامي، لا سيما في قضايا الاقتصاد والمجتمع، والحياة الثقافية والفكرية.

**10 - "وفيات الونشريسي"**: لمؤلفه أحمد بن يحي الونشريسي، ويتضمن وفيات رجال الفقه والحديث والتفسير والتصوف في بلاد المغرب الإسلامي مرتبين على السنين بداية من سنة 701 هـ/ 1301 م إلى سنة 912 هـ/ 1503 م، ويتخلل ذلك ذكر عدد كبير من المؤلفات العائدة إلى المتوفين في شتى مجالات

العلم، وبخاصة منها التصوف والفقه المالكي[70]، وبذلك فالكتاب - رغم صغر حجمه - مصدر هام يفيد في ترجمة أعلام هذه الحقبة من الزمن وإنتاجهم العلمي، وهو ما يساعد على تأريخ الحركة العلمية والفكرية.

**11 - "رحلة القلصادي** أو **تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب"**[71] لمؤلفه أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصادي[72]، المتوفى بباجة إفريقية سنة 891 هـ/ 1486 م.

يفيدنا المؤلف بتراجم للعلماء الذين درس عليهم بمدينتي بسطة وغرناطة، وخلال ذلك بإفادات أخرى منها عناوين الكتب المدرسية ومؤلفات بعض أساتذته التي تبرز النشاط العلمي الذي عرفته مدينة بسطة وما إليها، مع الإشارة إلى استمرار الطابع التعليمي في مدرسة غرناطة، وعرض الكتب الدراسية بها، كما يتحدث المؤلف في كتابه عن المناطق التي رحل إليها انطلاقاً من

---

(70) انظر الونشريسي أحمد بن يحي، **وفيات الونشريسي**، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط. 1، 1430 / 2009 م، ص. 5-116.

(71) أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، **رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1406 / 1985 م، ص. 82.

(72) انظر ترجمته في المقري التلمساني، **نفح الطيب**، ج 3، ص. 430-431. والقلصادي نسبة إلى قلصادة، وهي بلدة متصلة بمدينة تطيلة الواقعة شرقي غرناطة. **رحلة القلصادي**، هامش 52، ص. 30.

العدوة الأندلسية، ومنها تلمسان وتونس وطرابلس والقاهرة والحرمين الشريفين، ويورد خلالها معلومات عن بعض الخطط التي وقف عليها في رحلته، ويسجل أسماء العلماء من أقرانه، وأساتذته الذين يترجم لبعضهم، كما يذكر لوائح الكتب المتداولة وأسماء المدارس التي قرأ بها(73).

تشتمل الرحلة على ترجمة لثلاثة وثلاثين عالماً أحذ عنهم القلصادي في الأندلس قبل وبعد رحلته إضافة إلى علماء أخذ عنهم في المناطق الأخرى التي زارها، ومنها مدينة تلمسان التي يذكر جملة من علمائها، والذين ترجمهم ابن مريم في كتابه اعتماداً على رحلة القلصادي.

**12 - "الديباج المُذَهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب":** للقاضي إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي برهان الدين أبو الوفاء المتوفى عام 799 هـ/ 1397 م(74).

بلغ عدد التراجم الواردة في "**الديباج المذهب**" 632 ترجمة لأعيان المالكية من المشرق والمغرب، وقد بدأ المؤلف بترجمة وافية لمؤسس المذهب مالك بن أنس، ثم ترجم لأعيان المالكية إلى عصره، وقد رتب تراجمه على حروف المعجم(75)، واعتمد ابن مريم عليه في ترجمة كثير من الأعلام الذين ورد ذكرهم في كتاب "**البستان**".

---

(73) **المصدر نفسه**، ص. 7.

(74) ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق مأمون بن محبي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1417 هـ/ 1996 م، ص. 9-10.

(75) **المصدر نفسه**، ص. 12.

**13 - "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"**: لمؤلفه السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة 902 هـ/ 1496 م بالمدينة المنورة.

يتضمن الكتاب عدداً كبيراً من التراجم المتعلقة بعلماء المغرب الإسلامي الذين انتقلوا إلى المشرق إما للبقاء فيه، أو لأداء فريضة الحج والاستزادة من العلم، أو الذين عادوا منه إلى بلاد المغارب بعد تحقيق الغرض المقصود من الرحلة إلى المشرق، وعدد من هؤلاء ترجمهم ابن مريم، ونهل معلوماته عنهم من كتاب السخاوي.

**14 - "أنس الفقير وعز الحقير"**: لمؤلفه أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن قنفذ وبابن الخطيب، المتوفى سنة 810 هـ/ 1407 م، وموضوعه الرئيس ترجمة الشيخ أبي مدين شعيب دفين العُبّاد بتلمسان، وأصحابه من أهل التصوف مثل أبي علي الزواوي، وقد أكمله ابن قنفذ بقسنطينة تلبية لطلب أحد أصدقائه في شهر رمضان سنة 787 هـ/ 1385 م[76].

تكمن الأهمية الكبرى لهذا المؤلف في تصويره للحياة الصوفية بالمغرب في عصر المؤلف برجالها وفرقها وتجمعاتها[77]، وقد اعتمد عليه ابن مريم في ترجمة أبي مدين شعيب وابن النحوي.

**15 - "شرف الطالب في أسنى المطالب"**: لابن قنفذ القسنطيني.

---

(76) ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 1، 1999، ص. 226.

(77) ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ص. 110-111.

يعتبر كتاب "**شرف الطالب في أسنى المطالب**" مدخلاً لكتب علوم الحديث، وسعى المؤلف من خلاله إلى أن يُقرّب على المبتدئ الوصول إلى فهمها، وهو يكتفي في ذلك بالآراء الواردة عند ابن الصلاح والحاكم والقاضي عياض، وموضوع الكتاب شرح قصيدة نظمها أبو العباس أحمد بن فرج الإشبيلي اللخمي المتوفى سنة 699 هـ/ 1299 م في ألقاب علوم الحديث، وعرض قواعد مصطلح الحديث بصورة منظمة، وقد انتهج في ذلك منهجاً يقوم على شرح الجانب اللغوي، وإعراب كلمات الأبيات الشعرية، ثم حصر أنواع الحديث وآداب كتابته، وآداب العالم والمتعلم، والناسخ والمنسوخ، والصحابة والتابعين والرواة(78).

وذيّل المؤلف كتابه بعدة فصول منها فصل أثبت فيه أن طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم، وكذلك معرفة أفاضل الأمة، وفصل في أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء من مهمات الطالب(79)، ثم أورد قائمة ذكر فيها جملة مؤلفاته(80)، وضمّن الفصل الأخير من كتابه تأكيده على أن «مما يتزيّن به الطالب اليسير من الشعر»(81).

وقد نقل عنه ابن مريم الفصول الأخيرة من كتابه بشكل حرفي من قوله: «اعلم أن طلب الإجازة...» إلى «وعلى آله وأصحابه الرفقاء له في دنياه وأخراه»، والاختلاف الوحيد الموجود بينهما هو قول ابن مريم: «... إحدى عشرة وألف بمدينة تلمسان...».

---

(78) ابن قنفذ القسنطيني، **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تحقيق عبد العزيز صغير دُخان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط. 1، 1424 هـ/ 2003 م، ص. 47-48.

(79) ابن قنفذ القسنطيني، **شرف الطالب في أسنى المطالب**، ص. 236-237.

(80) **المصدر نفسه**، ص. 237-240.

(81) **المصدر نفسه**، ص. 240-248.

**16 - "كتاب الوفيات"**: لابن قنفذ القسنطيني، وهو عبارة عن تاريخ صغير لوفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمفسرين والمؤلفين، وقد رتبه ابن قنفذ على القرون وعلى تواريخ وفياتهم[82]، واستهله بوفاة سيد المرسلين محمد ﷺ سنة 11 هـ[83]، وانتهى به إلى العشرة الأولى من المائة التاسعة أي إلى سنة 807 هـ/ 1404 م بالحديث عن وفاة الفقيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي الضرير[84]، وقد جعله ذيلاً لكتابه **"شرف الطالب في أسنى المطالب"**، ورغم قصر التراجم الواردة فيه إلا أنه نال انتشاراً كبيراً في الأوساط العلمية، ونقل عنه عدد من كتاب التراجم والسير[85].

يحتوي الكتاب على تراجم قصيرة جداً للعلماء القدماء والمحدثين مرتبة على القرون، وبناء على تواريخ وفياتهم، ورغم صغر حجم هذا التأليف إلا أنه نال انتشاراً واسعاً لأنه مصدر سهل لمعرفة تاريخ وفيات الأعلام من رجال المسلمين[86].

كما يعتبر **"كتاب الوفيات"** مصدراً أساسياً للتعرف على رجال قسنطينة وبجاية وتلمسان والمغرب الأقصى والأندلس وإفريقية[87]، وقد اعتمد عليه ابن مريم في ذكر تاريخ وفاة كثير من الأعلام المترجمين في **"البستان"**.

---

(82) ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس، **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. 4، 1403 هـ/ 1983 م، ص. 17-18.

(83) **المصدر نفسه**، ص. 23-24.

(84) **المصدر نفسه**، ص. 382.

(85) **المصدر نفسه**، ص. 18.

(86) ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص. د؛ ابن قنفذ، **كتاب الوفيات**، ص. 18.

(87) ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي**، ص. 226.

17 - "**فهرس**[88] **ابن غازي**": وهو كتاب "**التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**" لمؤلفه ابن غازي المكناسي، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي المتوفى سنة 919 هـ/ 1513 م[89]، وقد ذكر ابن غازي فيه الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم واصلاً اسمه بأسمائهم، ويتواصل الإسناد حتى اسم مؤلف الكتاب المروي، وقد بنى ابن غازي هذه الفهرسة كما هو واضح من فاتحتها على استدعاءات وردت عليه من مدينة تلمسان سنة 894 هـ/ 1488 م وما بعدها من علماء يطلبون منه الإجازة[90].

افتتح ابن غازي "**فهرسته**" هذه بحديث الأولية، ثم بترجمة مشايخه، وعددهم ثمانية عشر شيخاً، وذكر الكتب التي رواها عنهم والمسلسلات والنكت والنوادر[91]، وتتفاوت تراجم هؤلاء الشيوخ في الطول والقصر حيث تبلغ الترجمة الصفحات العديدة كترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن

---

(88) الفهرس أو الفهرست أو الفهرسة كلمة فارسية معربة، ولعل أقرب الصيغ إلى الأصل الفهرست بكسر الفاء والراء، وهي عبارة عن كتاب يذكر فيه المؤلف شيوخه وما قرأ عليهم من كتب، وأسانيدهم في تلك الكتب مروية عن شيوخهم بتسلسل إلى مؤلفي تلك الكتب أو واضعي العلوم وأئمة المذهب، ويطلق الأندلسيون على الفهرس غالباً اسم البرنامج أو المعجم أو الثبت، ويسميه الشرقيون أيضاً المشيخة. أحمد المنجور، **فهرس أحمد المنجور**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396 هـ/ 1976 م، ص. 3.

(89) ابن غازي المكناسي، **فهرس ابن غازي: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**، تحقيق محمد الزاهي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1399 هـ/ 1979 م، ص. 7؛ ابن غازي العثماني المكناسي، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، دراسة وتحقيق عطا أبو رية وسلطان بن مليح الأسمري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط. 1، 1428 هـ/ 2007 م، ص. 17-26.

(90) **فهرس ابن غازي**، ص. 29 وما بعدها.

(91) **المصدر نفسه**، ص. 36-172.

حمامة الأوربي النيجي الشهير بالصغير[92]، ولا تتجاوز الخمسة أسطر في أحيان أخرى مثل ترجمة أبي زيد عبد الرحمن المجدولي المشهور بالتونسي[93].

والفهرسة حافلة بالإجازات العديدة التي اتصل بها من بعض شيوخه، وختمها المؤلف بذكر بعضاً من المؤلفات التي كان يعكف على تقييدها، وذيل كتابه بإجازة ابن مرزوق الكفيف، وذكر نتفاً من أخباره ونبذة من سيرته وبعض شيوخه، ثم ذكر الكتب التي أجازها له ابن مرزوق[94]، وختم كتابه بالتنبيه إلى أنه أتم كتاب "**الروض الهتون**" و"**شفاء الغليل**" و"**تكميل التقييد**" وكتاب "**إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب على صحيح البخاري**"[95].

تعتبر "**فهرسة ابن غازي**" من أشهر الفهارس بالمغرب الأقصى في القرن العاشر إذ أنها حفظت لنا الكثير من أسماء المشاهير من شيوخ المغرب الإسلامي في تلك الفترة وبعض من تآليفهم، كما تضمنت أكثر من ثلاثمائة كتاب كانت مقررة للتدريس، ومن خلال هذه الفهرسة وغيرها من الفهارس يمكن أن تكون لدينا فكرة واسعة عن حياة التعليم والعلماء والمدارس والكتب بهذا الجزء من العالم الإسلامي[96].

**18 - "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"**: لمؤلفه ابن غازي العثماني المكناسي المتوفى سنة 919 هـ/ 1513 م، ويؤرخ فيه لمسقط رأسه مدينة مكناسة الزيتون حيث يصف

---

(92) **المصدر نفسه**، ص. 36-69.
(93) **فهرس ابن غازي**، ص. 83.
(94) **المصدر نفسه**، ص. 174-192.
(95) **المصدر نفسه**، ص. 192.
(96) **المصدر نفسه**، ص. 18-19.

معالمها القديمة وغراساتها كما يوجز الأحداث التي مرّت بالمدينة وبخاصة من عهد الموحدين إلى عصره، ثم يذكر أبرز أعلامها وأسرها، ومنشآتها المعمارية من مساجد وحمامات وأبواب(97)، وقد اعتمد عليه ابن مريم في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني.

**19 - "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"**: لمؤلفه ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد المتوفى سنة 852 هـ/ 1448 م.

يقول المؤلف عن موضوع كتابه: «فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة إحدى وسبعمائة إلى آخر سنة ثمانمائة من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء، وعنيت برواة الحديث النبوي؛ فذكرت من اطلعت على حاله، وأشرت إلى بعض مروياته إذ الكثير منهم شيوخ شيوخي، وبعضهم أدركته ولم ألقه، وبعضهم لقيته ولم أسمع منه، وبعضهم سمعت منه»(98).

رتب المؤلف التراجم على حروف الهجاء مبتدئاً باسم إبراهيم، وبلغ عدد المترجمين في هذا المؤلف 5320 ترجمة لأعيان هذه المائة من أصناف المثقفين بالمشرق والمغرب بدأها بمفتتح سنة 701 هـ/ 1301 م وختمها بنهاية سنة 800 هـ/ 1397 م(99)، وضمن المترجمين عدد كبير من المغاربة والأندلسيين الذين

---

(97) ابن غازي، **الروض الهتون**، ص. 43-129.

(98) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ضبط وتصحيح الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1418 هـ/ 1997 م، ج 1، ص. 9.

(99) **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج 1، ص. 96.

مرّوا بمصر في طريقهم إلى الحجاز والشام، وهو الذي يفسر اعتماد مريم عليه في تأليف كتابه.

20 - "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**": لمؤلفه ابن خلدون عبد الرحمن المتوفى سنة 808 هـ/ 1406 م، وقد اعتمد ابن مريم على القسم الأخير من الكتاب، والذي يتضمن التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، وهو القسم الذي تضمن مشيخة مؤلف كتاب "**العبر**"، ومنهم عدد هام من الذين ترجمهم مؤلف كتاب "**البستان**"، ومن أبرز هؤلاء أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام[100].

21 - "**فهرسة المنتوري**": وهو محمد بن عبد الملك بن علي القيسي الغرناطي المتوفى سنة 834 هـ/ 1431 م.

ذكر المؤلف في كتابه مجموعة ضخمة من كتب العلوم المتداولة في عصره، وساق أسانيده إليها من شيوخه إلى مؤلفيها، وبين ذلك يرد ذكر العديد من المؤلفات المغربية والمؤلفين المغاربة، ثم ختم الكتاب بغرض لائحة لأساتذته بأسمائهم ووفياتهم وأغلبهم من المؤلفين، وفيهم الكثير من علماء فاس وسبتة وتلمسان[101]، وقد اعتمد ابن مريم عليه في ترجمة علي بن محمد بن منصور الغماري الصنهاجي التلمساني الشهير بالأشهب.

22 - "**فهرسة المنجور**": وهو أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور المكناسي ثم الفاسي، المتوفى بفاس

---

(100) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، **رحلة ابن خلدون**، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 2009 م، ص. 27 وما بعدها.

(101) **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج 1، ص. 97.

ليلة الإثنين 16 ذي القعدة سنة 995 هـ/ 1587 م. و"**الفهرس**" ألفه برسم إجازة المنصور الذهبي، وصنفه وفق تصميم حدده الْمُجَازُ للمؤلف؛ فاقترح عليه كتابة فهرس يشتمل على أشياخه وتاريخ ولادتهم ووفياتهم وأعمارهم مع أشياخهم، وما قرؤوه عليهم دراية أو رواية، ثم ما علق بحفظ المجيز من محاسنهم(102).

حقق المنجور هذا الاقتراح بكامله، وأضاف لذلك ذكر أقرانه الذين تبادل معهم الإفادات، وذيّل كتابه بذكر مؤلفاته، وبذلك كله جاء "**الفهرس**" عامراً بالمعلومات عن النشاط الفكري بفاس على عهد المؤلف وما قاربه(103)،

وقد اعتمد عليه مؤلف "**البستان**" في ترجمة محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمساني ومحمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني.

**23 - "فهرسة ايحي السراج"**: وهو يحي بن أحمد بن محمد الحميري النفزي الأندلسي ثم الفاسي المتوفى سنة 805 هـ/ 1402 م.

يُحَدِّدُ السراج في طالعة "**فهرسته**" الغرض الذي ينشده في تأليفها بأنه سيذكر في هذا الكتاب أسماء الشيوخ الذين عوّل في الرواية عليهم، ورجع في النقل إليهم لأنه بواسطتهم يتصل اسمه باسم النبي ﷺ، وصنفه في خمسة أبواب، يُترجم في الباب الثالث منه للشيوخ الذين أخذ عنهم، ويذكر بعض ما تلقاه منهم من

(102) أحمد المنجور، **فهرس أحمد المنجور**، ص. 9-10؛ محمد عبد الله غنام وآخرون، **فهارس الخزانة الحسنية**، فهرس قسم التاريخ والرحلات والإجازات، المطبعة الملكية، الرباط، 1421 هـ/ 2000 م، ج 2، ص. 813-814.

(103) **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج 1، ص. 136-137.

الأحاديث والفوائد، وينتمي عدد من هؤلاء المترجمين إلى المغربين الأقصى والأوسط - ويمثلون نسبة لا بأس بها في مشيخته - وهم من تلمسان وبجاية وقسنطينة - وينتمي بعضهم إلى الأندلس(104)، ويحتوي **"الفهرس"**على تسع وأربعين ترجمة موسعة(105)، ومنها ترجمة أبي علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي التي نقلها عنه ابن مريم.

**24- "الكناشة"**: للشيخ أبي العباس زروق، وهو أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المتوفى في مصراتة من ليبيا سنة 899 هـ/ 1594 م.

والكناشة بمثابة الترجمة الذاتية للمؤلف حيث يُدوِّن فيها نشأته ومتعلمه الأولي، ثم دراسته للعلوم وتعاطيه للصناعة، وضمن ذلك ترد إفادات تاريخية عن مجتمع فاس حيث قضى المؤلف حياته الأولى، ويتحدث بعد ذلك عن سلوكه طريق التصوف وسياحته في بلاد المغرب ومصر والحجاز مع ذكر شيوخ العلم الذين أخذ عنهم بهذه الجهات غير أن المعروف من هذه الترجمة الذاتية تشير افتتاحيته إلى أنه فوائد من كناش أبي العباس زروق فضلاً على أنها غير تامة في مخطوطتها بالخزانة العامة رقم ك 1385 ضمن مجموع(106).

وقد اعتمد عليه ابن مريم في ترجمة أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، ومحمد بن العباس الشهير بابن العباس التلمساني ومحمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني.

(104) عبد الله المرابط الترغي، **فهارس علماء المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط. 1، 1420 هـ/ 1999 م، ص. 309-316.

(105) المنوني، **المصادر العربية**، ج 1، ص. 96-97.

(106) **المصدر نفسه**، ج 1، ص. 120-121.

**25 - "تقييد محمد السنوسي في مناقب الأربعة"**: ذكر المؤلف عند ترجمة عدد من علماء وأولياء تلمسان أنه اعتمد في إيراد هذه التراجم على تقييد محمد السنوسي في **"مناقب الأربعة"**، وقد بحثنا عن هذا المؤلف في المصادر التي بين أيدينا، وكذا في **"فهارس المخطوطات"** التي بحوزتنا إلا أننا لم نعثر على أي كتاب بهذا العنوان، كما أن ابن مريم لم يذكر للسنوسي كتاباً بهذا العنوان عند ترجمته، وقد أورد فيها كل مؤلفاته، ونفس الأمر بالنسبة لتلميذه أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي الذي ترجمه وأورد مؤلفاته، ولكنه لم يورد أيضاً في كتابه أية إشارة إلى تأليف للسنوسي بهذا الاسم(107)، والأكثر من هذا أن الملالي أيضاً لم يذكر لشيخه كتاباً بهذا العنوان، وهو الذي لم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بشيخه إلا وأوردها في كتاب **"المواهب القدسية في المناقب السنوسية"** الذي خصصه لترجمة محمد بن يوسف السنوسي(108)، والذي نرجحه أن ابن مريم قد وهم في ذكر المؤلف الحقيقي للكتاب، وهو ابن صعد التلمساني، بخاصة وأن التراجم التي نقلها ابن مريم عن السنوسي ونسبها إليه هي نفسها تراجم الأربعة الذين خصّهم ابن صعد بتراجم وافية في كتابه الموسوم بـ**"روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين"** الذي مرّ ذكره.

**26- "الكواكب الوقادة فيمن كان بسبتة من العلماء والصالحين القادة"**: ذكر ابن مريم هذا الكتاب لأول وآخر مرة عند إيراده للمصادر التي اعتمد عليها في تأليف كتابه، ولم يقتبس

---

(107) البلوي، **ثبت أبي جعفر**، ص. 440-446.

(108) الملالي، **المواهب القدسية في المناقب السنوسية**، مخطوط بحوزة الأستاذ بن عمر حمدادو، قسم التاريخ، جامعة وهران، 117 ظ، 122 و.

منه أي ترجمة فيما سبق، وهو يؤكد أن المؤلف لم يكن يراجع ما يكتب حتى يتأكد مما كتبه، وقد ذكر السبتي كتاباً يحمل عنوان "**الكواكب الوقادة في ذكر من دفن بسبتة من العلماء والصلحاء والقادة**"[109]، ثم كتاباً آخر بعنوان "**الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد**" من تأليف محمد بن أبي بكر الحضرمي[110].

كما ذكره المقري في ثلاث مناسبات: الأولى وأورد فيها العنوان الكامل للكتاب حيث قال: «قال صاحب كتاب "**الكواكب الوقادة في ذكر من دفن بسبتة من العلماء والصلحاء القادة**"»[111]، وقال في الثانية: «انتهى كلام صاحب "**الكواكب الوقادة**"»[112]، وجاء في الثالثة: «قال صاحب "**الكواكب الوقادة**"»[113]، وذكره أيضاً مع اختلاف طفيف ابن القاضي المكناسي حين ترجم محمد بن يوسف ابن زمرك حيث قال: «ذكره في "**الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد**"»[114].

---

(109) **اختصار الأخبار**، ص. 6-7.

(110) السبتي محمد بن القاسم الأنصاري، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط. 2، 1403 هـ/ 1983 م، ص. 6.

(111) المقري التلمساني أحمد بن محمد، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبط وتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، المطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1358 هـ/ 1939 م، ج 1، ص. 33.

(112) **المصدر نفسه**، ج 1، ص. 38.

(113) **المصدر نفسه**، ج 1، ص. 40.

(114) ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج 1، ص. 314.

وقد اعتمد مؤلف "**بلغة الأمنية**" على كتاب "**الكواكب الوقادة**" - وموضوعها تراجم رجال سبتة - في ثماني مناسبات بالصيغ التالية: «وقد ذكرناه في "**الكواكب**"»[115]، أو: «وقد ذكرنا ذلك في "**الكواكب**"»[116] أو: «وقد مرّ التعريف به في "**الكواكب**"»[117] أو: «وقد مرّ ذكره في "**الكواكب**"»[118] أو: «هو مذكور في "**الكواكب**"»[119] أو: «وله في ذلك خبر معروف أودعناه تأليفنا المسمى "**بالكواكب**"»[120]، وهو يؤكد بذلك أن مؤلفه هو نفسه مؤلف كتاب "**بلغة الأمنية**" المجهول.

كما نقل عنه أحمد بابا التبكتي ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد الشريف الحسني السبتي وسماه: "**الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد**"[121].

## قيمة الكتاب

يعتبر هذا الكتاب مصدراً بالغ الأهمية في دراسة الحياة العلمية والثقافية بمدينة تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامة نظراً لحركة العلماء، وترددهم على حواضر العلم والثقافة خلال العصر الوسيط، كما أن الباحث يمكنه استخراج فوائد جمّة من

---

(115) مجهول، **بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرّس وأستاذ وطبيب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1404 هـ/ 1984 م، ص. 26-30-40.

(116) **المصدر نفسه**، ص. 43.

(117) **المصدر نفسه**، ص. 27.

(118) مجهول، **بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرّس وأستاذ وطبيب**، ص. 42-49.

(119) **المصدر نفسه**، ص. 44.

(120) **المصدر نفسه**، ص. 37.

(121) **نيل الابتهاج**، ص. 111؛ أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ضبط وتعليق أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، ط. 1، 1422 هـ/ 2002 م، ص. 54.

كتاب "**البستان**"، ومنها المعلومات التاريخية التي عاصرها العلماء والأولياء المترجمين في الكتاب، والمعلومات المتعلقة بالعمران والمنشآت التي كانت متواجدة بمدينة تلمسان وأحوازها، والتي كانت مسرحاً لحياة علماء وأولياء المنطقة، إضافة إلى أخبار أخرى تتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية بتلمسان خاصة، وبالمغرب الأوسط عامة.